

كتاب: «العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ»

مراجعة وتعليق

(الصفحات ١٦١ - ١٨٠)

هذا الكتاب الصادر عن الشركة التونسية للتوزيع من تأليف الباحث الأكاديمي عثمان العكاك، ويضمّ مقدمة وعشرة أبواب.

في المقدمة جاء:

«إن الكثيرين من إخواننا الإيرانيين لا يتصورون أن لحضارتهم امتداداً بتونس منذ أقدم العصور فهم لا يعلمون أن نسّابي البربر القدامى جعلوا أصولهم في الفرس، وأن الطربوش المغربي الذي عم ثلاث قارات أصله من منطقة الشاش وازدهر بتونس، وأن إدارة أو وزارة عامة في كامل الأقطار العربية تحمل اسمًا فارسيًا على وجه الدهر وهي «البريد» وأن نظام هذا البريد يحمل ألفاظًا فارسية أخرى مثل الفرائق....»

وكذلك قد يعلم التونسيون وقد لا يعلمون أن كثيرًا من مؤسساتهم هي ذات أصل إيراني سواء في الإدارة أو العسكرية أو المعمار أو التجارة أو الفلاحة أو الصناعات التقليدية فهي أيضًا من أصل إيراني، وأن كثيرًا من العلماء التونسيين قد أقرأوا بإيران، وأن ابن خلدون هو من أكبر المؤرخين الذين درسوا في شيء من

* - قسم الدراسات العليا - جامعة الزهراء.

● كتاب العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ

الاستعجاب تاريخ إيران وحضارة إيران وفلسفة التاريخ الإيراني». ويشير الباحث إلى وحدة الدائرة الحضارية الإسلامية التي جمعت إيران وتونس، ويقول:

الباب الأول:

فمشاركة الإيرانيين في الحضارة الإسلامية كانت في جميع العصور قبل الإسلام وبعده وبمشاركة العرب وغيرهم من الأمم الأخرى وفي جميع مبادئ العلوم والآداب والفنون والتقنيات والفلسفيات والتصوف والصناعات التقليدية والاجتماعية والسياسيات والإداريات والعسكريات والمعماريات والاقتصاديات، وفي مستوى رفيع جدًا تجد فيه أساطين الإسلام في الفقه والحديث والتفسير والأدب والآداب والموسيقى والفلسفة والفنون والصناعات والتقنيات. وهذا من غير شك له انعكاساته على تونس من حيث أنه بلد إسلامي له ما غيره من البلدان الإسلامية وعليه ما عليهم». (ص ٢١)

الباب الأول

تحت عنوان الأطوار التاريخية، وفيه فصول:

الفصل الأول: يستعرض تاريخ تونس قبل الإسلام في ظل الفينيقيين (١٢٠٠ ق.م - ١٤٦ ق.م) ثم الرومان (٤٦ ق.م - ٤٣٨ م) والوندال (٤٣٨ - ٥٣٨ م) والبيزنطيين أو الروم (٥٣٨ - ٦٣٢ م) ويقول الباحث: وبالبيزنطيين تنتهي حقبة ما قبل الإسلام بتونس وتأتي حقبة الإسلام، والإسلام يجب ما قبله. إلا أن الحضارات السابقة مدت تونس في عصرها الإسلامي الماجد بأفضل ما عندها من عناصر حضرية في السياسة والدولة ونظام الحكم

● زيب آذرشب

والتراتب الدستورية والعلوم والآداب والفنون والاقتصاد والصناعات التقليدية وحتى الفلسفة والتصوف والفولكلور». (ص ٣٨)

وفي **الفصل الثاني** يستعرض تاريخ تونس في ظلّ الإسلام «حيث كوّن الإسلام وحده إسلامية، وقضى على العقائد الوثنية المختلفة، فلم تعد هناك وثنية إيرانية ووثنية تونسية بعيدتان عن بعضهما، ولم تعد هناك نصرانية إيرانية من هرطقة خاصة ونصرانية تونسية تعددت فيها الهرقات، بل صاردين واحد موحد ذو حضارة موحدة وقيم روحية سامية ليس لها نظير» (ص ٣٩)

ويبدأ **بالدولة المهلبية الإيرانية - العربية** في رأي الباحث، لأن المهالبة كانوا عربًا إلا أنهم كانوا دائمًا أمراء بإيران قبل أن يصيروا أمراء تونس. فهؤلاء المهلبيون جاؤوا إلى القيروان على رأس جيش خراساني يبلغ ٣٠/٠٠٠ فاستقرت ثلاثون ألف عائلة خراسانية في الوسط التونسي وأصبح كل شيء متأثرًا بإيران، من طعام ولباس وسياسة وجيش وقضاء، وزراعة» (ص ٣٩-٤٢).

استمرت هذه الدولة من ١٨٤ هـ حتى ٢٩٦ هـ إذ حلّ محلهم الفاطميون.

وفي **عهد الفاطميين** استمرّ الارتباط بين إيران والمغرب العربي ومنه تونس عبر قنوات عديدة ومنها الرحلات، وعلى رأس الرحالة هؤلاء **ناصر خسرو**. فهو في كتاب **سفرنامه** = الرحلة، التي ترجمها إلى العربية وعلق عليها الدكتور يحيى الخشاب، يحدثنا عن القضاة المغاربة في مصر من عائلة النعمان بن حيون القيرواني، وعلى رأسهم القاضي النعمان، وهو أبو حنيفة النعمان القيرواني، كان قاضي المعز قبل فتح مصر (٣٤١-٣٥٦ هـ)، وهو صاحب كتاب **دعائم الإسلام**، أعظم كتاب في الفقه الفاطمي.

وحدثنا ناصر خسرو في هذه الرحلة عن النظام العسكري في تونس ومصر (ص ٥٢). وكذلك حدثنا عن الجامع الأزهر وهو من تأسيس التونسيين في

● كتاب العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ

القاهرة، على يد جوهر الصقلي (انتهى العمل من بنائه سنة ٣٦١ هـ).
ويحدثنا أيضًا عن «بيت الحكمة» في القاهرة، وهو امتداد لبيت الحكمة الذي أسسه في تونس زيادة الله بن الأغلب، وجعله جامعة ومعهدًا للترجمة، ومعهدًا للمؤلفين، وجعل على رأسه إبراهيم الشيباني (أصله من خراسان على ما يظهر، فالكثيرون من الشيبانيين من خراسان) ويسمى الرياضي، وينسب إلى بغداد، وعاش في عصر الفاطميين، واعتنى بشؤونهم العلمية والتعليمية. (ص ٥٥)
ومن رجال التواصل الثقافي والأدبي بين إيران وتونس الفاطمية أبو منصور الثعالبي النيسابوري الخراساني صاحب كتاب: *تبيمة الدهر في تراجم أدباء العصر*. ففي هذا الكتاب درس الشعراء الأفارقة المعاصرين له، وفتح بابًا على المشاركة لأن يعرفوا أدباء المغرب عامة، وكان ذلك مقدمة لأن يخصص ابن رشيق القيرواني كتابًا مهمًا تحت عنوان: *أنموذج الزمان في تراجم أدباء القيروان*، كما تعاقب بعد الثعالبي من اهتم بأدباء المغرب العربي ومنهم الباخرزي في كتابه *دمية القصر*، والعماد الإصفهاني في *سفره العظيم خريدة القصر وجريدة العصر*.
ويواصل الأستاذ المؤلف حديثه عن العلاقات الإيرانية التونسية عبر *الدولة الصنهاجية (٣٧٠-٦٠٠ هـ)* حيث بلغت تونس يومئذ «أقصى حدودها الجغرافية، ومنتهى القمة في العلوم والآداب والفنون والصناعات التقليدية»
«وفي هذا العصر ظهر الشريف الإدريسي الصقلي التونسي الذي ألف *نزهة المشتاق* والموسوعة الجغرافية الكبرى التي فسحت المجال لجغرافية إيران بما أرسل نورًا جديدًا باهرًا على معالمها وملاحمها» (ص ٥٧).
ويمر المؤلف بعدها على *الدولة التركية*، ويثني على الدور التركي في الشمال الأفريقي ويقول: «لولا الأتراك لكانت تونس والجزائر وليبيا أندلسًا ثانية وثالثة

● زيب آذرهب

ورابعة. وقد نشأت بتونس دولتان تركيتان: الدولة المرادية في القرن السابع عشر (الميلادي) ، (و) الدولة الحسينية ١٧٠٥ - ١٩٥٧». «وفي هذا العهد أسس يوسف داي مدرسة البشامقية التي كانت تدرس لغات الثقافة الإسلامية الثلاث: العربية والفارسية والتركية، وكان علماء تونس الأكابر يعرفون اللغات الثلاث وينظمون الشعر بالثلاث، ويعلقون على كتبهم بالثلاث...» (ص ٥٩)

عهد الحماية (١٨٨١ - ١٩٥٦)

حديث الباحث عن هذا العهد يثير الاهتمام، فالحماية الفرنسية لأي بلد عربي تنتهج أسلوب فصل ذلك البلد عن دائرة الحضارة الإسلامية، لكن هذا الارتباط الحضاري كان أقوى من نهج المحتلين، وهذا ما يذكره المؤلف في النص التالي: «المفروض هو أن يكون عهد الحماية الفرنسية على تونس خلواً من كل صلة مهما كان شكلها بين إيران وتونس، ومع ذلك فالعكس هو الذي وقع -أولاً- في المدارس الثانوية يشمل برنامج تعليم التاريخ في السنة الأولى الثانوية تاريخ إيران القديمة وعلاقتها مع آشور. فنحن عندما فتحنا عيوننا على أوائل التعلم الثانوي درسنا تاريخ إيران القديم.

ثانياً - في دراسات التاريخ الإسلامي بالخلدونية أو بالجامعة الزيتونية دراسة مقررة لتاريخ الدول الإسلامية.

ثالثاً - كثرت المطبوعات وكثرت دور الكتب العامة والخاصة وكثرت الكتب العربية التي مؤلفوها من الإيرانيين كالخوارزمي والهمذاني والبلخي والفيروزآبادي والزمخشري والبخاري والنسائي والترمذي إلى غير ذلك.

رابعاً - كثرت كتب تاريخ الأدب العربي من جرجي زيدان وغيره وهي مليئة

● كتاب العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ

بالمؤلفين الإيرانيين الذين كتبوا بالعربية كما كثر الكتاب المستشرقون الذين كتبوا عن الآداب العربية بالفرنسية مثل Clement Huard الذي ألف كتاب الأدب العربي ومثل Carde Vaux الذي ألف مفكروالإسلام وقد ترجم إلى العربية زيادة عن نصه الفرنسي، وكثرت دراسات تاريخ الفلسفة الإسلامية وما كتب عنها بالعربية أو الفرنسية (ماسينون، درمنغام) كما كثرت دراسات التصوف من السهروردي والحلاج والغزالي فكان هذا داعية إلى التعرف أكثر على أساطين الفكر الإسلامي بإيران.

ثم ترجمت في مستويات مختلفة من أدب الأطفال إلى الأدب العالي القصص الفارسية كما ترجمت رباعيات الخيام بالفرنسية والعربية وجاءت مطبوعة فقرأها الناس.

خامسًا - دخل تعليم اللغة الفارسية إلى الجامعة الزيتونية كلغة ثقافة إسلامية لا مندوحة عنها.

سادسًا - دخل في التدريس تاريخ الفنون المعمارية الإسلامية والفنون الصغرى فعرف الناس المدرسة الإيرانية وفنون إيران وجاءت كتب عربية وفرنسية في الموضوع فاشتراها الناس وظهرت حتى بعض القصور من المعمار الإيراني بوضوح تونس مثل Villa Persane بباردو.

سابعًا - وذهب بعض التونسيين إلى مدرسة اللغات الشرقية بباريس فدرسوا اللغة الفارسية ومنهم هذا العبد كما ذهب كثير من الطلبة إلى جامعات مصر والعراق فاختروا الفارسية وتخرجوا فيها أحسن تخرج.

ثامنًا - ثم إن الصحافة الفرنسية الكثيرة والصحافة العربية الشرقية التي تصل تونس ولا سيما صحافة الاستشراق تعطي أخبارًا يومية وأسبوعية عن إيران وتنشر

● زيب آذرهب

دراسات عميقة عن الأحداث الحضرية والثقافية الإيرانية لاسيما مجلة R.E.I (مجلة الدراسات الإسلامية) فكان التونسيون على بينة من تاريخ إيران والأدب الإيراني والفنون الإيرانية.

والأسطوانات الموسيقية سهلت سماع الموسيقى الإيرانية. وعندما كنا مشرفين على الإذاعة التونسية من ١٩٣٨ إلى ١٩٤٣ جعلنا حصة للموسيقى الإيرانية دراسة وفناً.

ومن جمع مقالات الصحافة التونسية من ١٨٨٦ إلى ١٩٣٦ المتحدثة عن إيران وجد كنزاً ثميناً لاسيما في طور ١٨٨٦-١٩١٢ الذي كان طور «اتحاد إسلامي» تعنتي فيه الصحافة بالدراسات الإسلامية بما في ذلك إيران.

وكانما هذا الطور الذي هو أشع أطوار حياتنا السياسية، كان يعد لحياة اتصال وثيق بإخواننا المسلمين، فلما ارتفع الكابوس كانت الانطلاقة أقوى حركية وأعظم اتساعاً وأعمق أثراً.

الباب الثاني

تحت عنوان: «ابن خلدون والدراسات الإيرانية». وبعد أن يتحدث بايجاز عن حياة هذا الرحالة في **الفصل الأول** يذكر في **الفصل الثاني** دراسته عن جغرافية إيران. **والثالث** يخصصه لما ذكره ابن خلدون لتاريخ إيران. استعرض تاريخ إيران قبل الإسلام، ثم استعرض الدول الإسلامية بإيران: الدولة الطاهرية، ثم الصفارية، والسامانية، ثم البويهية ثم الدولة الغزنوية، وأخيراً الدولة الديلمية.

الفصل الرابع عما أرخ ابن خلدون عن الفكر الإيراني في علوم الرياضيات والجبر والهندسة والطبيبات والطب والكيمياء (ص ٨٣).

ويخلص ابن خلدون إلى القول:

● كتاب العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ

« حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم .. من العلوم الشرعية .. ومن العلوم العقلية.

...والحضر لذلك العهد هم العجم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف. كأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس.

فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفراسي من بعده والزجاج من بعدهما وكلهم عجم في أنسابهم. وإنما ربوا في اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم.

وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى.

وكان علماء أصول الفقه كلهم عجمًا كما يعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين.

...وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم «لوتعلق العلم بأكناف السماء لئناله قوم من أهل فارس» (ص ٨٣ - ٨٤).

الباب الثالث

حول المؤسسات العسكرية، ويضم فصلاً أولها: التحصينات، ومن مفرداته الخندق وهو كلمة فارسية من «كَنْدَن» بمعنى الحفر. والفصل الثاني عن «هياة القيادة»، ويذكر فيه المؤلف: «كانت تونس في العهد المهلبى عامرة برجال العسكرية أو السياسة أو الإدارة من الإيرانيين» (ص ٩٥).

ويذكر منهم: محمد بن يزيد الفارسي، وعيسى بن موسى الخراساني، ويقطين بن موسى الخراساني.

● زيب آذرهب

والفصل الثالث عن «الجيش الإيرانية» التي قدمت إلى تونس. ويذكر الجيش الخراساني: «هذا الجيش قادم من خراسان مع الولاية، بعضه إيراني أصلاً وبعضه عربي مستعجم لطول المقام والمربي كما يقول ابن خلدون. وعدد هذا الجيش في الغالب ثلاثون ألفاً وليس بالقليل وقواده من الخراسانيين ومن العرب، وهذا الجيش مصحوب بعائلته فهناك في الحقيقة ثلاثون ألف عائلة خراسانية منتشرة بتونس وهذا يدلنا على مبلغ التأثير الحضري. وقد قام هذا الجيش في غالب الأحيان بتوطيد الأمن وقمع الخوارج وحراسة الثغور وإخماد الانتفاضات المحلية» (ص ٩٩).

الباب الرابع

عن العلوم، وبعد فذلكة تاريخية في **الفصل الأول**، ينتقل في **الفصل الثاني** إلى العلوم الدينية، ويذكر من التفاسير الإيرانية التي تداولها التونسيون: تفسير الطبري (جامع البيان) وتفسير الزمخشري (الكشاف) وتفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) وتفسير الفخر الرازي (مفاتيح الغيب).

ورواة الحديث الستة إيرانيون وهم:

الإمام البخاري صاحب الصحيح، ومسلم القشيري النيشابوري، وابن ماجة القزويني، وأبو داود السجستاني، ومحمد الترمذي، والنسائي.

«وفي الفقه: كان الكثيرون من فقهاء الطبقة الخامسة بالقيروان من الإيرانيين. نذكر منهم:

١- عبدالله بن فروخ (وفروخ معناه السعيد) الفارسي. فقيه القيروان كان إماماً محدثاً ثقة وأميناً. رحل إلى المشرق ولقي أعلاماً، ولقي زفر بمجلس أبي حنيفة فغلبه. روى عنه مسلم بن الحجاج وغيره. ولي قضاء القيروان وأخذ عنه قيديم (عميد) المفسرين يحيى بن سلام القيرواني. وذهب إلى المشرق ثانية. ولد

● كتاب العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ

سنة ١١٠ وتوفي بمصر عند رجوعه من الحج سنة ١٧٦هـ ودفن بالمقطم. وأسف عليه علماء عصره منهم ابن وهب وغيره.

٢- سقلاب بن زياد الهمذاني القيرواني كان إماماً فقيهاً من أهل الفضل والعبادة والاجتهاد، سمع من مالك وغيره. وقرأ على نافع توفي سنة ١٩٣هـ.

٣- أسد بن الفرات أصله من نيسابور. قدم به أبوه صغيراً مع الوالي محمد بن الأشعث.

٤- عباس بن أبي الوليد الفارسي التونسي. كان إماماً ثقة أميناً حافظاً للحديث. رحل مع أسد بن الفرات إلى الشرق في طلب العلم فلقي مالكاً والكثير من المحدثين.

وفي الطبقة السادسة من فقهاء المالكية اشتهر بتونس من الإيرانيين الأصليين: القاضي أبو مهدي عيسى بن مسكين بن منظور الإفريقي. أصله من العجم. كان ثقة أميناً فاضلاً. ولد سنة ٢١٤ توفي سنة ٢٩٥ وقبره بقريته المعروفة بمسجد عيسى، على نحو ١٠ كلم في الطريق بين سوسة والمهدية. كان فقيهاً ومرابطاً وقاضياً. وكان يربط بقصر الطوب المسمى الآن سيدي عبد الحميد قرب سوسة على البحر وبرباط قريته التي هي مسجد عيسى. ولما مر المنصور الفاطمي بقرية مسجد عيسى صلّى بمسجده ركعتين وأوصى العامل (الوالي) بحفظ القرية.

ألف كتباً كثيرة وعجبية منها *آداب الوكيل* وهو أول كتاب في الإسلام والآداب العالمية في أصول مهنة الوكيل (المحامي) قرر قانونها الأساسي وأصولها وجزئياتها ونحن لانزال في القرن الثالث الهجري.

أخوه محمد بن مسكين. كان من العلماء الفضلاء ولد سنة ٢١٧ وتوفي سنة

٢٩٧.

● زيب آذرشب

ومن رجال الطبقة السابعة من الفقهاء التونسيين الذين أصلهم إيراني: أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي القيرواني. ولد سنة ٢٣٤ وتوفي سنة ٣١٩ كان فقيهاً إماماً نظاراً ثقة أميناً صحب القاضي ابن مسكين وكان يكتب له السجلات. كان عالماً بالوثائق وله من الكتب:

١- كتاب الوثائق عشرة أجزاء.

٢- كتاب أحكام القرآن. عشرة أجزاء.

٣- كتاب مواقيت الصلاة.

محمد بن عثمان الخراساني وهو فقيه قيرواني وصاحب وثائق، كان يذهب مذهب أهل الكوفة، ولم يكن ممن يقول بخلق القرآن، وله سماع بمصر من يونس بن عبد الأعلى توفي سنة ٣١٨» (ص ١٣٣-١١٤)

وفي الفصل الثالث: يتناول المؤرخين والجغرافيين الإيرانيين الذين اهتموا بأمر

تونس، ويذكر منهم:

ابن جرير الطبري (توفي ٣١٠هـ) والبلاذري (توفي ٢٧٩هـ) واليعقوبي (توفي ٢٧٨هـ) وابن خلكان (توفي ٦٨١هـ) والبلخي صاحب كتاب صور الاقاليم (توفي ٢٢٢هـ)، وابن خردادبه، وابن رسته، وزكرياء القرويني (توفي ٦٨٢هـ) والسائح الهروي صاحب الاشارات إلى معرفة الزيارات.

والفصل الرابع: خصصه للدراسات الأدبية المشتركة بين إيران وتونس. وذكر

أن «الترسل التونسي تأثر بابن العميد الخراساني وأبي بكر الخوارزمي والصاحب بن عباد (الطالقاني) وبديع الزمان الهمداني. ومن شاء معرفة ذلك فليراجع: زهر الأدب للحصري القيرواني» (ص ١١٩)

ذكر الباحث «المقامات» التي نشأت بالمشرق على يد بديع الزمان الهمداني وأبي القاسم الحريري وتأثر التونسيين بها من أمثال: ابن رشيق وابن شرف من

● كتاب العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ

القدماء، ومحمد السنوسي ومحمد الورغي وعلي الغراب الصفاقسي من المتأخرين.

ثم ذكر أصحاب المجموعات الشعرية التي تضمنت باباً لشعراء تونس وهم: الثعالبي في اليتيمة والباخرزي في الدمية والعماد الاصفهاني في الخريدة. وأشار إلى «الأمثال» وذكر معجم الأمثال للميداني، والمستقصي في الأمثال للزمخشري، وما فيهما من الامثال المطابقة للأمثال التونسية.

ومن شروح الإيرانيين لكتب الأدب شروح أبي زكرياء يحيى التبريزي (ت ٥٠٢هـ) وهي شروح متداولة في تونس. ومنها:

شرح المعلقات، وشرح الحماسة، وشرح ديوان أبي تمام، وشرح سقط الزند للمعري، وشرح المفضليات. ومن المؤلفين الإيرانيين الذين يتداول كتبهم التونسيون: الزوزني، والطغرائي، والصاغاني اللغوي، والسكاكي الخوارزمي، والجرجاني.

ومن الطريف أنه يتحدث أيضاً عن «الشاهنامه» وهي إياذة الشعر الفارسي ويقول عنها وعن غيرها من كتب الأدب الفارسي:

«أما الآن فإن الشاهنامه (للفردوسي) والجلستان (لسعدي الشيرازي) ورباعيات عمر الخيام معروفة منذ أسس يوسف داي مدرسة لتعليم العربية والإيرانية والتركية ومنذ صار في العهد التركي اعتبار اللغات الثلاث أساساً للثقافة الإسلامية، ومنذ قرر خير الدين باشا الفارسية لغة رسمية بالصادقية، ومنذ تقرر بعد الاستقلال تعليم الفارسية بالزيتونة وغيرها. ومنذ ذهب طلبة تونسيون إلى الشرق فتعلموها ضمن البرامج» (ص ١٢٢)

● زيب آذرشب

والفصل الخامس: جعله تحت عنوان «الحساب والجبر والمقابلة والمثلثات». **والفصل السادس:** تحت عنوان «النبات» **والفصل السابع** تحت عنوان: الطب.. تحدث فيها عن التبادل العلمي بين إيران وتونس في هذه الحقول، وآثار ذلك في الأسماء العلمية المتداولة حتى اليوم في تونس. (ص ١٢٤ - ١٣٢).

الباب الخامس

تحت عنوان اللغة والأدب، **والفصل الأول:** حول طرق نفوذ الكلمات الفارسية في كلام التونسيين. ثم يعقد **الفصل الثاني** تحت عنوان: الأدب الفارسي، ويذكر ما لكتب الأدب الإيرانية من تأثير على تونس. يشير إلى **كليية ودمنة، وألف ليلية وليلة** وكتب قصص فارسية أخرى. ويخصص الفصل الثالث للالفاظ الفارسية الموجودة في اللغة التونسية، ويرتبها حسب الحروف الأبجدية وتستغرق ١١ صفحة من الكتاب (١٥٣ - ١٦٣).

والفصل الرابع: حول المسرح البربري والتعزية.

الباب السادس:

حول الفنون المعمارية في **الفصل الأول**، والموسيقى في **الفصل الثاني**، وزخرفة الكتب والنمنميات في **الفصل الثالث** وصناعة الخشب في **الفصل الرابع**، وفيها يشير إلى التفاعل الفني بين إيران وتونس في هذه المجالات.

الفصل السابع

عن الصناعات التقليدية، ويذكر الزربية والشاشية والصناعات الحريرية والزليج أو القاشاني، ذاكراً أنها من الهدايا الثمينة التي أهدتها إيران إلى تونس (ص ١٩٠).

الباب الثامن

تحت عنوان « التصوف » ويذكر الطريقة القادرية المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، ويقول : كان الأمراء الحسنيون في تونس على الطريقة القادرية (ص ١٩٦).

ثم يشير إلى الغزالي وابن تومرت، ويرى أن ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية في الشمال الأفريقي تأثر بفلسفة الغزالي إلى أبعد حد. (ص ١٩٨). ويذكر أن إسلام البربر اكتمل بظهور الدولة الموحدية التي كانت « غزالية » في عقائدها وأصول نظمها. (ص ١٩٩).

الباب التاسع

تحت عنوان: « الفلاحة ». يستعرض تاريخ الفلاحة في العصر الفينيقي (الفصل الأول)، وفي العصر الروماني (الفصل الثاني) ثم في العصور الإسلامية (الفصل الثالث) ويذكر الأشجار التي جاءت من إيران إلى قبرص مثل: السرو والقسطل (الشاهبلوط)، والفسق و يرى أن الفلاحة التونسية مدينة بالكثير من أشجارها وأزهارها إلى إيران منذ أقدم العصور وبأحسن أساليب التقنية في الصناعات الفلاحية (ص ٢١٤).

الباب العاشر

تحت عنوان « باب جامع » يتحدث في فصله الأول عن الفلكلور ونقف عند حديثه عن النوروز. يقول:

« رأس العام الإيراني أو النوروز القديم. ويسمى عندنا غرة مايه العجمي أي يوم ١٤ ماي الرومي. تحرم فيه أشياء وتحلل أشياء وتتقرر أشياء. فمما يحرم اشتراء الثوم

● زيب آذرشب

حتى لا يكون العام كرية الرائحة مريير الطعم ولا تشتري المكناس حتى لا يكنس العام كنسًا بما فيه من جوارف وجوانح - لا قدر الله - ومما لا بد منه وضع شرائط في باحات البيوت يعلق فيها الليمون الحلو والنانج في أغصانها وذلك لعدوبة الليمون الحلو وجودة النانج وجمالها وريح قشرتها الذي هو علاج للصداع ومادة عطرية لإعداد الحلويات.

والنوروز - ويسمى بتونس النيروز - جاء مع المهالبة وانتقد نهائيًا مع الأغلبة وله عادات وطقوس كثيرة بتونس تحدث عنها بإطناب المؤرخ التونسي ابن أبي دينار القيرواني في كتابه: *المؤنس في أخبار إفريقية وتونس* في الباب الأخير الذي هو حديث عن عادات التونسيين يحسن الاطلاع عليه.

والفصل الثاني: تحت عنوان «حياة مقارنة» وفيه يقارن بين الحياة في إيران وتونس، وبعد جولة في الحياتين يتساءل «هل تحولنا من تونس إلى إيران أم من إيران إلى تونس»؟ (ص ٢٢٤).

وننقل جولته في هذا الفصل بين البلدين:

«في الأسواق»

إذا تجولنا في أسواق المدن الكلاسيكية بإيران نشعر كأننا لم نغادر القيروان أو سوسة أو تونس. فالأسواق مسقفة وكواها ترسل أعمدة من نور فوق نصف ظلمة الدهاليز، وألوان الأقمشة اللامعة المتحركة الملتصقة المؤتلفة والألبسة المختلفة بحسب الجهات واللهجات الآتية من كل إقليم، وأصوات السماسرة والمنادين والدكاكين المصطفة والمصاطب المفروشة أمامها وقد جلس عليها الحرفاء يقبلون البضائع ويناقشون الأسعار.

فكل هذه المشاهد الشيقة الريقة وهذه المجموعة الطافحة الفياضة من الألوان والأصوات والأشكال والحركات، وهذا المعرض البشري الحي للأصناف الإنسانية

● كتاب العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ

وللهجات وهذه المدرسة السيكولوجية للارتجاجات والدوافع والانعكاسات التي تستطيع أن تدرس فيها روح الجموع أجل دراسة على الحي هي كلها واحدة عبر آلاف الكيلومترات.

في الجوامع

وإذا تجولنا تارة بجموامع إيران وتارة بجموامع تونس فإننا نجد وجوه شبه عجيبة، أولها وجود الصحن الكبير الذي لا نجده بالجموامع الحنفية لأن البلاد الحنفية في الغالب بلاد باردة فلا تتأتى فيها الصلاة في الصحن. ونجد هذا الزليج ذا الائتلاف المعدني الذي زين به محراب القيروان وزينت به جوامع تونس وغيرها من المدن إلا أننا نجد القبة البصلية إنما نجد القبة الفاطمية الشبيهة بها سواء في جامع القيروان أو في جامع الزيتونة بتونس. ونجد هذه الغابة من الأعمدة التي تعطينا انطلاقتها إلى أعلى معنى انصراف القلب إلى الله تعالى ومعنى اللانهاية العمودي كما أن ممراتها بين الأسطوانات تعطي معنى اللانهاية الأفقي.

وإذا نظرنا إلى اجتماع صفوف المصلين في صحن الجامع (بإيران) تصورنا اجتماعهم في صحن الزيتونة بتونس. نفس الخشوع ونفس الانغماس في التقوية والتعبد ونكران المحيط الدائر والاتجاه بالكلية في انجذاب تصوفي سليم إلى الخالق جل وعلا.

في رمضان

ثم يأتي رمضان الذي هو شهر الدين. رمضان بجماهيره التقية المتدافعة. بأذان صوامعه وبتلاوة القرآن في جوامعه وبحلقات الوعظ في مساجده وبتدافع الناس في أسواقه مجموعات طافحة فياضة من الألوان والأشكال والحركات ونيران

● زيب آذرشب

اللهمات وتلاعب الظلال والأنوار ومقابلات الصمت والدوي والسرعة والبطء. حياة حركية متدفقة شاملة وإيمان باسم مطمئن يقرّ العين ويثلج الصدر، وتنقل متواصل من الجامع إلى السوق ومن السوق إلى البيت ومن البيت إلى الجامع، واجتماع في الميادين قبيل المغرب وتبخر سحري للجماهير بعد ثوان وتدفق وفيضانات بشرية في الأسواق والدكاكين والمساجد، وموسيقى المسخّرفي الأزقة والسامر في أطراف المآذن وتصاعد آيات بينات من الذكر الحكيم بأصوات ملائكية مسيلة للدموع منطلقاً من البيوت والميادين والمساجد. فهل تحولنا من تونس إلى إيران أم من إيران إلى تونس؟

في البستان

نصف أزهار البستان قد أتت من إيران. عطر شاه الحواشي والسواقي والمماشي، وقباب الياسمين وخمائله ومعرشاته الخضراء البيضاء الزرقاء كأنها سماء بنجومها أوقبة ديباج بتطريزاتها والآس والسوسن والليلك، هذه الأزهار المتنوعة المحتشمة والجسورة والمختفية والمتبديّة والمقيرشة والمتسلقة والبيضاء والزرقاء والصغيرة والكبيرة، وهذه الورود العطرة الخضلة النضرة كأنها خدود العذارى فيها مغلها وسندسها وأرجوانها وعطرها وعبيقها وعبراتها العنبرية. نفس المماشي بسماطين من سرو ويتحول عفصه إلى صناعات وتتحول أغصانها إلى أيدي مخضبة بالحناء مصفقة في احتشام راقصة في أناقة وجلالة وغنج وقد سرح فيها الحسون يصرصر سلسلة الغنائية الساحرة الخلافة الأخاذة الشيقة الريقة المغربية.

ووصلنا البركة، البركة الكبرى وقد سرح فيها الأوز الكبير الأبيض والأسود تعقد المرمر من أسود وأبيض كالعجوة البيضاء وخادمتها الزنجية. وكاشتراك الفجرين ليل دامس وصبح محتشم ووردية فردوسية. وفي الكشك وسط ماء

● كتاب العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ

البركة بين أسراب الأوز الكبيرة النافرة وبين أسراب الزوارق المتدافعة في صمت وإيقاع مجاذيف في موسيقى صامتة ارتفعت أنغام موسيقى ملائكية فيها رنات العيدان وخفقات الكمان وتجاوب الألحان بأبداع ميزان.

هل نحن في بركة الأغالبة بالقيروان أو ببركة رقاد أم بجنة العريف في قصر الحمراء أم ببركة قصر الزهرة في سيدي أبو سعيد قرب تونس أم نحن في إصفهان... كلها مختومة بألف ونون علامة العظمة والسلطة والفن والمهرجان من طهران إلى القيروان». (٢٢٣-٢٢٥).

تعليق:

هذا الكتاب يصبّ في هدف بيان ما في العالم الإسلامي من وحدة حضارية ضاربة الجذور في أعماق التاريخ، وفي عصرنا الراهن. والتأكيد على هذه الظاهرة مقدمة لازمة لاستئناف مسيرة الحضارة الإسلامية، ورسم أفق مستقبلنا الحضاري. صاحب الكتاب الأستاذ عثمان العكّاك تونسي درس تعليمه الثانوي بالصادقية، ثم تابع دراسته العليا بجامعة السوربون وبمعاهد أخرى في باريس. مارس التدريس الجامعي والكتابة والتأليف. ويظهر من الكتاب أنه درس اللغة الفارسية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، لكنه في صفحات الكتاب يشير إلى حضور اللغة الفارسية في المناهج الدراسية بتونس حين أدخلت مادة تدريس هذه اللغة في المناهج الدراسية بتونس منذ قرون. ويذكر أكثر من ذلك أن «علماء تونس الأكابر يعرفون اللغات الثلاث وينظمون الشعر بالثلاث، ويعلقون على كتبهم بالثلاث».

وفي العصر الحديث أيضًا دخل تعليم اللغة الفارسية إلى الجامعة الزيتونية.

● زيب آذرشب

وكم مفيد لو كان هناك تحقيق شامل عن حضور اللغة الفارسية في تونس قديماً وحديثاً حتى يعرف الإيراني أن العرب يهتمون بلغته كما هو يهتم بلغة العرب، وذلك أدعى الى كسر الحواجز النفسية بين الشعبين. ومن الطريف أن المؤلف يرجع الحضور الإيراني إلى عصر المهلبين في بداية الفتح الإسلامي بتونس. «فهؤلاء المهلبون جاؤوا إلى القيروان على رأس جيش خراساني .. وأصبح كل شيء متأثراً بإيران». واستعراض الأستاذ العكاك يغطي مساحات كبيرة من الحياة الأدبية والفكرية والدينية والاقتصادية والفنية .. وما فيها من تفاعل بين الإيرانيين والتونسيين.

ويشير في (ص ٥٥) إلى حضور الشيبانيين في تونس ويذكر إبراهيم الشيباني رئيس معهد المؤلفين في بيت الحكمة في عصر الفاطميين، ويذكر أن الكثيرين من الشيبانيين أصلهم من خراسان.

بالمناسبة في ديوان ابن هاني الأندلسي أربع قصائد يمدح فيها أبا الفرج الشيباني (ص ٥٤ و ٢٣٥ و ٣٠٢ و ٢٨٧ ط دار صادر، بيروت)، ويشير في إحداها إلى أصله الفارسي ومطلعها:

قولاً لمعتلِّ الرَّمح الرُّدِينِيَّ والمُرْتَدِي بالرداء الهندواني

ثم يقول واصفاً الشيباني:

من أهل بهرام جور في مناسيه ماشئت من فارسي نوبهاري

وبهram جور: أحد الملوك الإيرانيين. ونوبهاري: من كلمة نوبهار = الربيع الجديد، ويقصد أنه فارسي خالص.

وفي الكتاب إشارة إلى (النوروز) في تونس وهو في اعتقادي يحتاج إلى دراسة مستقلة تبين زوال الحواجز القومية في دائرة الحضارة الإسلامية .. كما يشير إلى

● كتاب العلاقات بين تونس وإيران عبر التاريخ

حضور الأدب الفارسي ممثلاً بالشاهنامة وجلستان سعدي ورباعيات الخيام في تونس، وهي إشارة تفيدها في دراسة تفاعل الأدبين العربي والفارسي في المغرب العربي.

ويقف المؤلف عند ظاهرة هامة في هذا المجال حين يتحدث عن عهد الحماية، فيذكر أن الحماية الفرنسية لأي بلد عربي تنتهج أسلوب فصل ذلك البلد عن دائرة الحضارة الإسلامية، لكن هذا الارتباط الحضارة كان أقوى من نهج المحتلين، إذ وقع العكس فالحديث عن إيران تاريخاً وحضارة قد ازداد في الكتب الدراسية التونسية. وهذا كلام له دلالاته الكبيرة علمي عمق الأواصر الحضارية التي تربط أجزاء العالم الإسلامي.

ومن الملفت في الكتاب أنه يختتمه بحديث جامع عن المشترك الحضاري سواء على مستوى الاقتصادي (السوق) أو الديني (في الجوامع) أو الجمالي (في البستان)، ويرى أنه حين يتجول في البلدين (إيران وتونس) لا يدري أهو في إصفهان أم في القيروان.